الفصل الخامس:
لقاءٌ على روكِّينجيما

اسمحا لي بالتعريـف بنفسي.
اسمي...
...كينـزو أوشيروميا.
3ASQ.ORG
جدِّي...
قال غينجي لباتلر ذات مرَّة إنَّه يشبه كينزو في شبابه...
فهمت...
ليسا متماثلَين... لكـن هنالك فعلًا شيءٌ من التشابه.

لم أرغب قط...
...في أن أرث عائلة أوشيروميا.
اختياري للرئاسة...
...كان أصلًا محض ضربة نحس.
نعم، مات معظم أفراد العائلة في زلزال كانتو الكبير...
...فوقع عليك الاختيار مع أنَّك من عائلةٍ فرعية.
أليس كذلك؟
كان جدِّي يمتاز بالحكمة والرزانة منذ ريعان شبابه...
...لذا وجدوا فيه الطموح والحماس لقيادة العائلة رغم حداثة سنِّه.
هييه...

آهاها هاهاها ها...
ظلَّ كبار العائلة الجشعــون وقتًـا طويـلًا يتجادلون لتأمين مصالحهم...
...لكنّهم عجـزوا عن التوصُّل إلى قرارٍ توافقي.
كلَّا أبدًا! بل العكس!
تنازعوا كالمجانين على اختيــار ربَّــان السفينة الغارقة تحت أقدامهم.
بالنسبة لتلك الثعالب الهَرِمَة...
بل كلَّما قلَّت معرفته بالقيـادة كان أفضل لهم.
نعم.
...كان كلُّ هَمِّهم أن يكون الرئيس الجديد دميةً بين أيديهم، وكان يمكن أن يفي بهذا الغرض أيُّ فتًى ساذج.
جدي...

ليون...
هناك فرقٌ بيني وبينك.
كلُّ شيءٍ شيَّدتُه سيكون ميراثك.
ذاكَ مصيرك منذ اليوم الذي أبصرت فيه نور الحياة.
لهذا أعطيتك الخاتــم الفضي...
...ولهذا كنتُ صارمًا في تربيتك.
أنت لسـت مثلي.
لا يوجد ما يدعوك للخجل.
إنَّك فعلًا خليفة هذه العائلة...
نـ... نعم سيدي...
رئيسٌ دمية...
لا بدَّ وأنَّ ذلك كان شاقًا عليك.
بلى...

هيبه...
هاهاها هاها...
كانت بحق...
...أيَّامًا رماديـة طويلة...
تملؤُها التعاسة...
في تلك الفترةِ مِن حياتي...
...كنتُ لا أختلـف عن الميت...
كنتُ بمثابة الحبل الذي يستخدمه كبار العائلة في لعبة شد الحبل...
وَهَنتُ حتَّى كان تمزُّقـي وشيكًا.
لكنَّ البشر أصلب مِمَّا يبدون.
مع أنِّي كنتُ أشعر كالرجل الميت...
...إلَّا أنِّي في النهاية...
...تحطَّمَت روحي، وصرتُ أقضي الوقـت كَمَن ينتظر نمو الطحالب على الصَّخر.
...لم أَمُت.

لَم أنتبه للزمن...
أيَّامي الرماديـة الطويلة...
...والتعيسة وعديمــة الجدوى...
عشرون سنةً زمـنٌ طويل، إنَّه يكفي المرء...
...لأن يُولَد ويبلغ سنَّ الرشد...
...ثمَّ يغادر صفوف الدراسة للانخراط في المجتمع.
...امتدَّت عشرين سنةً كاملة.
...إلَّا وقد صرتُ رجلًا كهلًا يضحكُ عليه الشباب إذا ما اعتبر نفسه منهم.
إذا اعتبرنا أنَّ تلك هي الفترة اللازمة لتنشئة البشر...
...فسأكون إذن قد قضيتُ وقتًا يكفي لتكوين إنسان...
...قضيتُه كلُّه وأنَا دميةٌ بائسة لا حيلة لها بين أيدي أولئك العجائز الجشعين.
لكن المفارقة...
...هي أنَّ تلـك الأيام...
لَم تفلح أبدًا في تشييخ عقلــي ولـو أنَّها أشاخت جسدي.
قلبي...
...كان لا يزال قلب الصِّغـر الذي يتوق لعنفوان الشباب.

وحده جسمي كان يتقدم في السّن دون عقلي...
...وفي النهاية...
...صار صعبًا علي حتى التوفيق بينهما...
رئاستي لعائلة أوشيروميا كانت بالاسم لا غير.
لم أكُن أتمتّع بأي سلطة.
ولا أي استقلالية حقيقية.
ما كنتُ أحتاج أن أشغل بالي بأي شيء غير ما يطلبونه مني.
كنتُ مجرَّد دمية...
...واجِبُها الجلوس على منصَّة العرض...
ومُراكَمَة الغبار والصَّدَأ.
لا أذكر أنّي كنتُ أفعل شيئًا ذا قيمة...
كنتُ أطمر نفسي بين صفحات كتبي الغربية المفضلة...
...نائيًا بذاتي إلى عالمي الخاص.
العناية بالورود والإفراط في الشراب كانا كلَّ حياتي.
ثمّ فجأةً...

وجدتُ نفسي متزوِّجًا بامرأة غريبةٍ عني.
اختارها كِبار العائلـة بنـاءً على مصالحهم الشخصيـة طبعًا.
كانت ابنة عائلة نبيلة ذات حسب ونسب.
لكنّي لم أكترث لذلك.
لم أكُن أحبُّ زوجتـي، ولا كنتُ أكرهها أيضًا.
رُزِقتُ منها بأبنـاء، لكن ليس مِن حبِّي لها.
وكأنَّهم ظهروا من العدم قبل أن أشعر.
الأمر وما فيه هو...
...أنَّ لا شيء من ذلك كان يهمُّني.
كلا- بل دعنـي أوضِّح أكثر:
كلُّ ذلك لم يكُـن إلا...
.."وظيفتي" في رئاسة عائلة أوشيروميا.

نعم...
كنتُ أحس وكأنَّ حياتـي تنسلُّ من بين أصابعي...
أي أنّـي كنتُ فعـلًا أموت ببطء.
لا... لا أصدِّق...
حكمتك وجرأتُك في الرئاسة يضرب بهما المَثَل.
فيصعب علـي أن أتخيلك تعيش حياةً كالتـي وصفتها...
ليون...
...ما مِن حياةٍ أطول ولا أرتَب من الحيـاة التي لا يعيشهـا صاحبها.
لكنّها مع ذلك...
تنقضي في غمضة عين كَكُلِّ حياة أخرى.
إيَّاك ونسيان هذا.

حياةٌ...
لا يعيشها صاحبها...؟
العيش لا يكون إلا بامتلاك إرادةٍ حرة.
هذا يعني أنَّه كان حينئذٍ في حُكم "الميِّت".
بالضبط.
تمنَّيتُ لو أعيش.
كلا...
بل تمنَّيتُ لو أموت.
...لكن كيف لدميةٍ أن تموت؟
......
يمكنها ذلك...
...بقطع خيوطها.
تمامًا.
هكذا يكــون الموت...
...لكنَّه أيضًا عيش لِما ينطوي عليه مِن إرادة حرة.

إنَّـه... تحـرُّر.
ثمَّ على حين غرَّة منِّي، شبَّت نيران الحرب في العالم.
اندلعت حرب المحيط الهادئ في أعقاب الحرب العالمية الثانية.
وصارت اليابان تقاتل على جبهتين شرقًا وغربًا.
بدأت طاولة الحرب تنقلب علينا.
نجح كبار العائلة في إعفائـي مِن الخدمـة العسكرية...
ليس مِن مُنطَلَق قلقهم علي طبعًا، بل لأنّـي كنـتُ دميتهم الثمينة.
لكن...
لم يكُن صعبًا علي تغيير رأيهم.
كانت عائلة أوشيروميـا على مشـارف الانهيار آنذاك.

كبار العائلة...
...اختلسوا ما يكفيهم من الأموال للعيش بهناء بقيّة حياتهم...
...ذلك يعني أنهم ما عادوا بحاجةٍ إلي، وبالتالي لم يعودوا يهتمون كثيرًا بمصيري.
ولهذا...
...بدأتُ أشعر...
...أن أجل موتي قد حان أخيرًا.
ألهذا تطوّعتَ في الحرب...؟
...أملًا في أن تُلاقِي حتفك؟

نعم، اعتقدتُ أنّي لو كنتُ سأموت...
...فالأحرى بي أن أموت في سبيل وطني على الأقل.
كلا...
ليس هذا مربط الفرَس.
أظنُّني كنتُ ببساطةٍ أفتقر للعزيمة اللازمة لإنهاء حياتي بنفسي كما أردت.
لذا وجدتُ أن التطوع للحرب...
...كان أنجع وسيلة متوفرة.
سمعتُ أنَّك يا جدي كنتَ ضليعًا في أعمال البناء...
...لذا انضممتَ لفيلق البناء في البحرية...
...وساعدتهم في تشييد قواعدهم.
نعم.
لكنّي أخطأتُ التقدير.
لو كنتُ أخبرتهم أنّي بلا مهارات، لأرسلوني للصفوف الأمامية بدل المقرّات الآمِنة.
بعض زملائي كانوا يحتفلون بحظِّهم، أمّا أنا فكنتُ أندبه.
كلُّ ما كنتُ أريده...
هو نشوة الثمالة مِن الموت فداء الوطن.

لكنّي بدلًا من ذلك علِقتُ على جزيـرةٍ منسيّـة بينمـا حامـلات القنابل الأمريكية تـمرُّ فوقي غير عابئة.
لم يصوّبوا تجاهي...
...ولو برصاصةٍ واحـدة تحقّـق مبتغاي، ناهيكَ عن قنبلة.
جدّي، أفي هذا التاريخ...
....التقيتَ بياتريس؟
صحيح.
أتت مِن بلادٍ أجنبية.
أيـن التقيتَها؟
قلتَ إنّك كنـتَ على جزيرة.
هُنـا بالضبط.
لقد أتَـت إلى هنا، إلى روكينجيما.
سنة 1944 ...
بعد هزائمنا فـي سايـان وغوام، انهـار نطاق اليابان الدفاعي.
لكن...
...كان في جعبة البحريـة سلاحٌ خاص يمثّل خط دفاعنا الأخير.
وتغير موقفنا في الحرب...
...إلى موقـف دفـاع.
طوربيد بشري، يكفـي في قوتـه وضخامته للإطاحة بأي سفينـة في ضربةٍ وحيدة.
طوربيد كايتـن.

مِـن أجل حماية اليابسة...
أعلم أنَّهم بَنَوا قاعـدة كايتن في جزيرة هاتشيجو.
...اقترحَتْ البحريـة بناء قاعدةٍ سرية...
...لتغطية الخط الفاصل بين هاتشيجو ويوكوسوكا بغواصاتٍ مزودة بالكايتن.
لكن لم أسمع...
...ببناء واحدةٍ على روكينجيما أيضًا..
*الكايتن طوربيدات انتحارية استخدمتها اليابان مثل الكاميكازي في الطيارات.
لا أعرف مَن الأحمـق الذي خطرت له فكرة بناء قاعدة على هذه الجزيرة النائية.
ربَّما للمحافظـة على سريتها؟
هاه.
فكـرةٌ سخيفة.
لم أفهم أبدًا فيما كان يفكِّر الضبَّاط الأعلى مرتبة.
أخبرونَا أنَّ سريَّة قاعدة الكايتن مهمَّةٌ جدًا لتؤدي دورها في الدفاع.
بعد فحص المنطقة..!
تبيَّن لهم وجود جرف يتخلله كهفٌ كبير يمكن تحويله إلى مرسًى للغواصات.
لكنَّ ذلك لم يكُن يهمُّني.
...ولذلك وقع اختيارهم على روكّينجما التي كانـت جزيرةً غيـر مأهولة.

هل ساعدتَ في بناء القاعدة؟
بناء؟
لَم يكُن ذلك بناءً، فلَم نفعل غير تهييـئ كهف موجود سلفًا.
كما أنَّهم...
...تخلَّوا عن القاعـدة قبل حتَّى أن تكتمل.
تخلَّوا عنها...؟
بوآها هاها هاها ها
حينئذٍ...
...لم يكن قد تبقَّى عند اليابان أيُّ غواصاتٍ كبيرة بما يكفي لحمل الكايتِن.
كانت مهزلـةً بحق.
ما النفع مِن قاعدة غواصات تخلـو مِـن أي غواصات؟
على عكس قاعدة جزيرة هاتشيجـو التي أصبحَـت منصَّـةً للهجوم بطوربيدات الكايتِن...
قاعدَة روكّينجيما لم تصِلها أيُّ غواصات.

توقّفت أعمال البناء، ولم يتركوا منّا إلّا عددًا قليلًا مُتمركزًا على هذه الجزيرة.
لم تَردنا أيُّ أوامر إضافية، كُنّا مجرّد حرّاس لذلك الكهف.
حتّى قادة الجيش...
نسوا كُليًا أمر ذلك الكهف عديم الفائدة.
لذا جلسنا نشاهد الأمريكان يمرُّون مِن فوقنا...
وانشغلنا بزراعة المحاصيل لتمضية الوقت.
بعض الجنود كانوا سعداء لأنّ الحرب غالبًا ستنتهي دون أن نطأ أرض المعركة.
لكنّي...
...كنتُ على عكسهم.
أردتُ أن يغزو الأمريكان هذه الجزيرة
...لكي أموت على يدهم.
ومِن ثمَّ...
في سنة 1945
على روكينجيما
...في خضم تلك الفترة الرتيبة الخالية من أيٍّ معنى...
تمالك نفسك!
كُفّ عن التقاعس!

المعركَة الحاسمة على الأبواب، فإلى متَى ستستمرُّ بالتخاذل؟!
المعركة الحاسمة؟
أحقًا تظنُّ أنَّ الأمريكان سيكلِّفون نفسهم عناء المجيء إلى هذه الجزيرة النائية؟
ليتهم إذن يُسرِعـون بالمجيء.
......
فذلك ما كنتُ بانتظاره طوال هذه المُدَّة.
ما هذه النظرة الشَّاردة في عينيك؟!
هل تخشى المـوت؟!
لن تقتل منهم أحدًا هكذا!!
ألهذه الدرجة أنت خائفٌ من الأمريكان؟

......
الكلب الذي ينبح لا يعض.
سبب نوبات غضبهم الغريبة تلك...
...كان لكي ينسوا مخاوفهم.
كانت خسارتنا في الحرب وشيكة، ولم تعُد المعنويات والعزيمة تكفي للدفع بهم للأمام.
بالنسبة لهؤلاء الجنود الشباب الأغرار...
...شعور الغضب...
...كان كالخمر الذي يخدِّر خوفهم.
أمّا أنا فلا أخشى الموت.
لذا لم أكن مضطرًا للسقوط في دوّامة الغضب.
وذلك جعلني قادرًا بسهولة...
...على استشعار جُبْن رفاقي.
هذه النظرة مجددًا؟!

أوشيروميا!
إنَّـك ضعيف الروح والجسد!
لكن...
هم أيضًا كانوا يفعلون المِثْل.
سمكـة!
عيناك كعيني سمكةٍ ميتة!!
مِثلما كنتُ أستشعر جُبنَهُم...
...هم أيضًا...
...كانوا يستشعرون ضُعــف إرادتـي.
...!
أين كينزو أوشيروميا؟!

المُلازِم يـنـادي عليك!
هذا الملازم أوّل ياماموتو... إنّه قائد وحدة الدفاع عن روكّينجيما.

إنَّه يجب معاتبة أتباعه علـى أتفـه الأخطاء...
أي أنَّه أيضًا من الكـلاب الجبانـة التي تنبـح لتنسى خوفها.
أوشيروميا!
سمعتُ...
...أنَّك تتقن بعض اللغات الأجنبية!
هل ذلك صحيح؟!
نعم سيـدي الملازم.
الإنجليزية والصينية.
ماذا عن الإيطالية؟
لا سيدي.
إذن لا يمكنكَ أن تكون مترجمًا بيني وبين إيطالي.
ربَّما أستطيع إذا كان يتقـن الإنجليزية يا سيدي.

آآه... فهمت.
فكـرةٌ جيدة.
جيِّـد!
أوشيروميا!
ستكون مترجمي!
هل تحدثتَ من قبل مع أجنبي بالإنجليزية؟!
نعم سيدي.
لماذا قد نحتاج مترجمًا...
...على هذه الجزيرة التافهة التـي نسيها حتَّـى كبـار ضباطنا؟

إجابة هـذا السؤال
عرفتُها أخيراً...
في وقتٍ لاحـق مِن ذلك المساء.
كنتُ أعرف أنّنا متحالفون مع الطّليان.
إنّهـا غواصةٌ... إيطالية.
لكنّها كانت أوّل مرةٍ أرى فيها جيشهم.

ما معنى ذلك...؟
على حدِّ علمي...
استسلمَتْ إيطاليا سنة 1943.
فلماذا إذن تقوم بَحرِيَّتهُم بـ...؟
صحيحٌ أنَّ المملكة الإيطاليـة استسلمَت رسميًا.
ولكن...
...هناك قوَّاتٌ رفضت الاستسلام وشكَّلـت تحت قيادة موسوليني الـRSL...
RSI؟
الجمهورية Repubblica الإيطاليـة Sociale الاشتراكية Italiana
وتُعرَف لارسميًا باسم جمهورية سالو.
ثمَّ واصلوا القتال في الحرب.
أرَى أنَّك مُلِمٌّ بالتاريخ.

يظنُّ الجهلة مِن الناس...
...أنَّ الطَّليان كانوا جبناء لأنَّهم أوَّل من استسلم مِن دول المحور، لكنَّهم مخطئون.
واصلت الـRSL القتال حتَّى 29 أبريل 1945.
سقطت برلين بعد هذا التاريخ بـ3 أيام فقط.
لم يكونوا جبناء.
بل حاربوا بكلِّ بسالة.
لكن...
...يفاجؤني أنَّ الـRSL كان بحوزتها غواصةٌ تستطيع الوصول لليابان، فقد كانت حينئذٍ في موقف ضعف.
بل المفاجأة الكبرى هي أنَّهم فكَّروا في المجيء لليابان أصلًا.
لماذا اليابان؟
ولماذا روكّينجيما؟

لم أرَى إيطاليّـا من قبل...
يبدو أنّهم اصطدموا بلغمٍ تحت الماء أو ما شابه.
نظام تهويتهم متضرِّر...
...وعلى إثر ذلك تسرَّب غاز الكلورين السَّام إلـى قُمـرَة قيادتهم.
سمِعتُ الـملازم يُلَمِّح...
...إلى وجود حمولة مهمَّة في غواصتهم.
ربَّما جهاز فكِّ تشفير أو مُخَطَّط محرّك جديد؟
ما يهمُّ الآن ليـس حمولتهم...
...بل أنَّ كبار الضباط تذكَّروا وجودنا هنا!
تعال هنا يا أوشيروميـا!

اسألهم عن قائدهم مَن يكون!
واشرح لهم أنّـي الضابط المسـؤول عن هذه الجزيرة!
*سنوظّف هذا الخط للكلام بالإنجليزية.
أهلًا بكم في اليابان.
هل يتحدث أحدكـم الإنجليزية؟

أهلًا بكَ...
في اليابان.
هل أنت القائد؟
أنا... لا أتكلم إنجليزي.
انتظر أرجوك.
وشيروميا!؟
ماذا قال؟!
طلَبَ منّي الانتظار.
أظنُّه سينادي على أحدٍ يتقِـن الإنجليزية.
أنا... أجيد...
الإنجليزية.

أهلًا بكِ...
...في اليابان.
أيـن قائدكم؟
قائدنا ميّـت.
ذلك الرجل هو الضابط الوحيد المتبقي بيننا.

تعازيّ الحارة لكم.
هل هناك ما نستطيع مساعدتكم بـه؟
لا نحتاج إلا الهواء والماء.
بعضُنا يعاني مشاكل في التنفس
لذا نبحث عن مكانٍ للراحة.
تسرُّنا مساعدتكم.
هل يتحدث أيٌّ من زملائك الإنجليزية؟
مات كلُّ من كـان يتحدثها.
أنا الوحيدة المتبقية.
أوشيروميا!
ماذا تقول هذه المرأة؟
مَـن قائدهم؟
أهو ذلك الرجـل؟
مَن هذه المـرأة أصلًا؟!
تَرجِـم لـي!!
...سيدي الملازم.

يبدو أنَّها الوحيدة القادرة على الحديث بالإنجليزية.
لهذا ستكون...
...مترجمتهم.
قائدهم ميِّت...
...وذلك الضابط يحلُّ محلَّه الآن.
مَن هذا الرجل المُتغطرِس الذي يصرخ؟
لا تقل لي إنَّه قائدكم.
بلى هو كذلك للأسف.
ربما لا يعجبُه أنّي سوف أنفرد لوحدي بسيدة جميلة مثلك.
أووه.
لم أتوقَّع أن أسمع مديحًا كهذا من رجلٍ آسيَوي.
إنجليزيتك ممتازة.
يبدو أنَّ تربيتك كانت حَسَنَة.
على عكس ذلك الرجل البائس الذي لا يتقن غير الصراخ.

ليتكَ كنتَ القائد هنا.
هووه.
لم أتوقع أن أسمع مديحًا كهذا مِن امرأةٍ أوروبية.
هيهيهي!
إنَّكَ رجلٌ طريـف.
ما اسمكَ؟
أوشيروميا.
كينزو أوشيروميا.
إذا لم يكن عندكِ مانع...
...هل لي أن أسـأل عن اسمكِ يا آنسة؟
هيه..

بياتريـس كاستِليوني.
أهلًا بكِ
يـا بياتريس.

كان ذلك...
لقائي الأول ببياتريس؛
أهلًا بكِ في اليابان.
المرأة التي أَسَرَت قلبي إلى الأبد.